الدكتور محمد حسين الشيخ كاظم

(١٣٢٥هـ-١٣٥٦هـ)

(١٩٠٧م-١٩٣٧م)

ولد صبيحة يوم السبت ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٢٥هـ الموافق ٣/آب/١٩٠٧م، وقد أرخ عام ولادته والده الشيخ كاظم آل نوح: (ديوانه ٤٤٢/٢):

كـــم للإلـــه مـــن هبـــات شـــافيه بهـــا ســـرور لفـــؤاد موجـــع
علـــيّ قـــد مَـــنَّ بـــأزكى ولـــد نـــدب ســـوى درّ العـــلا لـــم يرضـــع
فقلـــت فـــي تأريخـــه (لمـــا بـــدا قـــد أخجـــل البـــدر بأســـنى مطلـــع)

١٣٢٥هـ

أكمل دراسته الابتدائية في الكاظمية، فلما تخرج منها كان يذهب إلى بغداد ليدرس في الثانوية الإعدادية إذ ما كانت قد فتحت مدرسة ثانوية في الكاظمية، وعندما أكمل الإعدادية المركزية في العام ١٩٣١م دخل الكلية الطبية ببغداد. وقبل دخوله الكلية كان يقرأ مقدمة شعرا قبل صعود أبيه المنبر.

وكان والده الشيخ كاظم آل نوح قد أرخ عام قرانه من ابنة خالته وذلك ليلة الخميس ٢٢ ربيع الثاني ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م: (ديوانه ٦٩٢/٣)

غـــرد قمـــري الســـرور صـــادحا مؤرّخـــا (بُشـــرت فـــي قرانـــه)

١٣٤٨هـ

وفي كتاب (من اعلام الجهاد: الشيخ مرتضى الخالصي) لمؤلفه ابراهيم عباس الحسني في صفحة (١٠) أن الدكتور محمد حسين آل نوح من تلامذة الشيخ مرتضى الخالصي.

ونقرأ في جريدة صدى العهد[١]، العدد: ٥٦٢ الاحد ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٥١هـ/ ٢٤ تموز ١٩٣٢م السنة الثانية:

صفحة: ٢ حوادث وأخبار ومحلية

نتائج امتحان الكلية الطبية الملكية العراقية مرتبة حسب الدرجات

الناجحون من الصف الأول إلى الثاني

٩- م. كاظم

ونقرأ في جريدة الطريق[٢]، العدد: ٣٩٥ الثلاثاء ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣هـ/ ١٧ تموز ١٩٣٤م السنة الثانية:

صفحة: ٢ حوادث واخبار محلية

نتيجة الامتحان النهائي في الكلية الطبية

(دروس الصف الثالث مفردات الطب)

١٠- محمد كاظم

وأما تفاصيل مسيرته الدراسية في الكلية الطبية، فإننا نرجع إلى شاهد عيان، وهو زميله في الدراستين الاعدادية والجامعية، الا وهو شيخ الأطباء المرحوم الدكتور كمال السامرائي، فقد ذكره في مذكراته (حديث الثمانين)، الجزء الأول، الذي نشرته دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة ١٩٩٤، في تسعة مواضع وهي الصفحات ١٢٦، ١٣٠، ١٣٨، ١٤٣، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، نقتطف منها:

صفحة ١٣٨: ومما هوّن عليّ الأمور المدرسية هو تعرفي على زملائي في الصف وبعض من الطلاب القدماء الذين سبقوني بسنة إلى الدخول إلى كلية

---

[١] جريدة يومية سياسية، مديرها ورئيس تحريرها توفيق السمعاني، ومديرها المسؤول جميل عمر.

[٢] جريدة يومية سياسية عامة، مديرها المسؤول إسماعيل حقي، ومديرها ورئيس تحريرها توفيق السمعاني.

الطب، فتكونت بيني وبين هذا المجموع من الطلاب ألفة وتحابب، وتدريجيا رأيتني اختص باثنين منهم، أراجع معهما دروسي اليومية، وكان كل منهما بخلق متميز وطباع غير طباع الآخر. وكان أحدهما واسمه محمد حسين كاظم يتكلم بهدوء، ويتحرك بوقار، ويميل إلى الجد، ولا ينزع إلى الهزل الا انه يأنس له، وقد يشارك فيه بحدود. ودامت صحبتي مع هذا الصديق طيلة أيام الدراسة في الكلية، وقد توفاه الله بعد أسبوع واحد من تخرجه في الكلية، فحزنت لوفاته وتألمت حتى بكيت. ويوم وفاته وليس قبل ذلك علمت من أبيه المفجوع أن ابنه الدكتور محمد حسين كان أبا لطفلين، عمر أكبرهما ثلاث سنوات، والصغير ما زال على ثدي أمه. وكان منظر أبيه العجوز حين أسلم ابنه الوحيد الروح يفتت الأكباد.

صفحة ١٤٣: أما أكثر أصدقائي قربا إلى قلبي فهما كمال نور الدين ومحمد حسين كاظم، وهما أخلاقيا على طرفي نقيض، فإن كمال كثير المزاح والآخر قليل الكلام كثير الجد.

وفي تسجيل صوتي مع الدكتور كمال السامرائي (حول أيام دراسته) صباح الجمعة ١٥/ أيلول/١٩٩٥ وقد استغرق حديثه حوالي ٤٥ دقيقة، ، نقتطف منه ما يأتي:

- كنت أراه في الاعدادية المركزية كزميل، ولكن في الكلية الطبية ومنذ الصف الأول كنت معه في مجموعة التشريح، ولولاه وزميلينا كمال نور الدين ونجيب اليعقوبي لتركت الكلية لاني كنت أخاف رؤية الموتى بل أخاف رؤية الدم.
- أتذكر عندما كنا طلابا في الصف الأول زارنا في درس التشريح العملي المرحوم الملك فيصل الأول، وكان معه د. سندرسن ود. صائب شوكت مدرس التشريح العملي، وأتى الملك إلى طاولة التشريح التي كان المرحوم محمد حسين جالسا عليها وأنا معه وكمال نور الدين، فوضع الملك يده على كتف محمد حسين وسأله هل تحب التشريح؟ فأجابه نعم سيدي صاحب الجلالة، ثم التفت الي وسألني السؤال نفسه فأجبته الإجابة ذاتها.

- كنت أرتاح له أثناء الدراسة راحة تامة لأنه قارئ ممتاز لا يمل الكتاب إطلاقا ولا يتعب، ولا يجعل السامع يمل أيضا، وعدا ساعات الدراسة المقررة كنا نجتمع يوم الجمعة تحت شجرة دفلى بُني الان محلها المختبر المركزي للـ (Pathology)، واحد يقرأ واثنان يستمعان، كمال نور الدين يحب المرح ويخرج عن الخط، بينما المرحوم محمد حسين عندما كان يمسك الكتاب يشدنا إلى الدراسة، وكنا ضعفاء في اللغة الانكليزية ولكنه كان يعرف كيف يشدنا، حيث لا يتكلم الكلمات الانكليزية بوتيرة واحدة.
- متزمت إلى حد ما بروح دينية نظيفة حلوة جميلة مقبولة، بينما أصحابي الآخرين كانوا يشربون ويهزلون بدون حدود، ويمرحون بدون قيد أو شرط، لكنه كان على النقيض.
- لطيف جدا، جدي يشارك في المرح ولكن بحدود مهذبة، والحقيقة كان خير صديق لي.
- متوسط الطول، نحيف الجسم، يلبس نظارة، هادئ، يمشي ببطء.
- اشتدت العلاقة بيننا وخصوصا في الصف المنتهي بحيث اننا لا نجتمع ساعات الدرس فقط بل وأيضا نجتمع ليلا نهيئ أنفسنا للامتحان، وأما يوم الجمعة فكنا باستمرار نأتي إلى الكلية الطبية.
- لدي صورة مع محمد حسين تجمعنا مع طلاب السنة المنتهية في الاعدادية المركزية، وظهر في الصورة أيضا عبد الكريم قاسم وكان طالبا في تلك الاعدادية، وأظن انني نشرت هذه الصورة في مجلة آفاق عربية.
- وقفت عليه وهو في النفس الأخير، وكان الدكتور سندرسن موجودا حيث اتصل بي هاتفيا وقال لي ان أحد أصحابك في المستشفى الملكي في دار التمريض الخاص المطل على دجلة – غرفة رقم ٢، وقبل أن أصل رأيت والده من بعيد واقفا في باب الغرفة وعلى وجهه علامات مشروع بكاء، ولم أسأله بل دخلت الغرفة، فلما رآني مد يده إلي وأمسكت بها، وكان في وضع مؤلم، وبعد ربع إلى ثلث ساعة بدأت علامات الاحتضار وزفر النفس الأخير، ودخل والده ونام على صدره ثم قال أين القبلة للقيام بما هو مطلوب، وأتذكر ذلك كأنه حدث قبل ساعة، وقد أبكاني في

تلك اللحظة لأنه كان المقربين لي أكثر من أي زميل آخر، بل هو في مقدمتهم بالنسبة لمزاجي وروحيتي واتصالي به.

- كان د. سندرسن قد شخّص حالته بذات الرئة بسبب السل، وليس لسندرسن مذكرات عن الطلبة، والا فالموقف كان معلَمة بارزة لنا كزملاء.

وتجدر الاشارة إلى ان مما يدلل على عمق العلاقة بينهما ان الدكتور محمد حسين أسمى ولده (كمالا)، في حين أن الدكتور كمال أسمى ولده (محمدا).

وكتب عنه الدكتور اديب توفيق الفكيكي في تأريخ اعلام الطب العراقي الحديث/ ج٣، في الفصل الخامس: اطباء بارزون – من مذكرات المرحوم د. محمد حسين الخطيب (لمحات من تأريخ كلية الطب).

ونقرأ في أوراق والده (المخطوطة) تفاصيل الساعات الاخيرة من حياته:

"عُيّن في المستشفى الملكي ببغداد، ومات بعد تعيينه بثمانية وعشرين يوما، وحيث عُيّن في المستشفى خرج من بيتنا إذ كان بيتا ضيقا واستأجر دارا واسعة وانتقل اليها وزوجته وبناته الثلاث وولده الصغير، وهيّأ في البيت عيادة، وقلت له إقرأ مجلسا ثلاث ليالي ليعرف الناس مكانك، وسأدعو في كل ليلة خطيبا من خطباء الكاظمية، وفي الليلة الأخيرة من المجلس رأيت حاله قد تدهور، فحُمل إلى المستشفى الملكي وأدخل إلى غرفة من الدرجة الأولى، وجاء الدكتور سندرسن فدخل الغرفة وقد اجتمع دكاترة عديدون، ففحصه وصار يكلمهم ويبين ما كان قد شخّصه فيه، ثم أعطاه وصفة وخرج، فما أصبح الصباح الا وقد فاضت نفسه، فشيّع تشييعا عظيما وجميع الدكاترة والموظفون في المستشفى أمرهم مدير الصحة العام سامي شوكت وعميد كلية الطب صائب شوكت والمدير الداخلي للمستشفى وجميع أطباء الانكليز الموظفين في المستشفى خرجوا إلى الكاظمية، وغُسّل في مستشفى الكاظمية، وساروا بنعشه متوجهين به إلى صحن الكاظمين (عليهما السلام)، ولما وصلوا به إلى الصحن أنزل امام الصحن وأحاط الأطباء بسريره، وابّنه أحد الأطباء والناس يبكون والنساء الواقفات كن يرفعن اصواتهن بالبكاء، وحمل السرير وأدخل إلى الحرم الشريف، وطافوا به حول ضريح الامامين (عليهما السلام)، وخرجوا به وأنزل في مقره الأخير ودفن مع أمه وذلك يوم ٢٤ جمادى الاخرة سنة ١٣٥٦هـ،

وأقيمت له فاتحة في بيت السيد جعفر عطيفة وهو ابن عم والدتي وابن خالتها، وابن اخيه السيد عبد الرسول السيد ابراهيم عطيفة وأقيمت له فواتح أخرى في جامع الشريف المرتضى، وفي بيت حاج غانم، وأقام موكب الجمهور فاتحة له في صحن الكاظمين (عليهما السلام)، وبعد ثلاث ليال أقام السيد عباس السيد محسن الصائغ ثلاث ليال في الصحن، وأقام خدام حضرة الكاظمين (عليهما السلام) أيضا ثلاث ليال في الصحن إلى جانب الحجرة التي دفن فيها وتليت عدة قصائد في رثائه من الكاظمية والحلة وبغداد، وجاءتني عدة برقيات يعزونني، وكتب من بعض البلاد العراقية التي لهم معرفة بي. ولقد اقمت في حسينية آل السيد حيدر حفلة تأبينية بعد وفاته بأربعين يوما فحضرها أكثر المدعوين من الكاظميين والبغداديين، وألقيت في تلك الحفلة عدة مراث للمرحوم، ويوم عيد الفطر جلست عصرا في صحن الكاظمين (عليهما السلام) كجلسات الفواتح التي تقام في الصحن."

ونقرأ في ديوان الشيخ كاظم (٧٢٣/٣) أنه ارّخ عام وفاة ولده ورثاه بقصائد منها تلك التي قرأت في الحفلة التأبينية التي أقيمت بعد وفاته بأربعين يوما في حسينية آل السيد حيدر الحسني، وكانت حفلة رائعة، وكان المدعوين من علماء وأعيان وأشراف من الكاظمية وبغداد، وألقي فيها عدة قصائد وكلمات، وقد ألقى معالي الدكتور سامي شوكت كلمة، والدكتور شريف عسيران كلمة، وغيرهما.

وممن رثاه السيد محمد شديد، والشاعر عبد الغني الحجيجي والشيخ قاسم الملّا الحلي والشيخ حسن الأسدي والملا سلمان الانباري.

وكانت جريدة العالم العربي قد نشرت خبر وفاته في عددها (٣٩٨٦) السنة الرابعة عشرة الصادر يوم الخميس ٢ أيلول ١٩٣٧ الموافق في ٢٤ جمادى الثاني ١٣٥٦هـ وفي الصفحة الخامسة أسفل العمود الثاني، وكان الخبر محصورا بين خطين أسودين:

وفاة الدكتور محمد حسين الشيخ كاظم الخطيب

"اختطفت يد المنون نهار أمس فجأة الدكتور محمد حسين الشيخ كاظم الخطيب وقد دفن باحتفال مهيب في الكاظمية، فنعزي آله وذويه ونسأل للفقيد الرحمة والرضوان."

وتجدر الاشارة إلى ان الدكتور محمد حسين دفن في مقبرة والده الشيخ في الحجرة الملاصقة لباب الشيخ مرتضى آل ياسين (باب صافي) الواقعة في الزاوية الغربية الجنوبية للصحن الكاظمي الشريف (رقم ٢٨ وفق الترقيم الجديد). كما انه خلّف ثلاث بنات وولدا واحدا اسمه كمال الذي ولد ليلة الخميس ١٤ ذي العقدة ١٣٥٤هـ الموافق ٦ شباط ١٩٣٦م وقد عاش بعد وفاة والده خمس سنين، ويقول جده الشيخ في ديوانه (٢/ ٤٢٧) عندما ارخ عام وفاته انه مرض وعرضه على ثمانية عشر دكتورا متنقلا به من طبيب إلى آخر، وذاهبا به إلى دائرة أشعة روتنجي، ومضت ستة شهور على هذه الحال فلم ينفعه علاج أي منهم، واخيرا كان جالسا فقضى نحبه، وكان بيت التاريخ:

واعظم خطب قد دهاني فأرّخوا حفيدي كمال قد قضى نحبه وجع

١٣٦١هـ

كان والده الشيخ يعتقد بأن ولده د. محمد حسين مات بسبب الحسد، ونجد ذلك الإعتقاد واضحا في بعض القصائد التي رثى بها ولده، في ديوانه (١/١٦٠):

يا لحى الله كل عين أصابت مفخر الطب بل وتعمى وتلحى

ودهى كل حاسد لفناء ليت من صفحة البسيطة يمحى

وفي (١/٢٠٥):

وقد كنت ترغب في خدمة تعم ولكن دهاك الحسد

وفي (٣/٥٨٠):

أبني كنت بعزة وبرفعة لكن اصابك حاسد مرذول

وفي (٣/٦٦٥):

أصابتك العيون عيون قوم ولكن عن سواك عموا وصموا

ولقد رثى الشيخ ولده الدكتور بـ (٢٥) قصيدة منشورة في ديوانه بلغ عدد أبياتها (١٢٠٧) بيتا وتضم (٢١) تاريخا، ومن هذه التواريخ كما في ديوانه (٢/ ٣١٨):

فزع غداة الناس أرّخ (عمَّها طرق المنون محمد الدكتورا)

١٣٥٦هـ

وفي (٣/ ٥٧٤):

ناعيــك قــال بصــيحة ارّخ (صـــه لمحمـد الـدكتور قـد طـرق الاجـل)

١٣٥٦هـ

وفي (٤٤٢/٢):

كيـف صـبري وقضـى التـاريخ (انـي وبرغمـــي ســـائلات ادمعـــي)

١٩٣٧م

وتحـدث الشـيخ فـي مواضـع عديـدة عـن تشـييع جنـازة ولـده، ومنهـا: (ديوانه ٦٦٩/٣)

شــيّعوا نعشــك فــي نــوح بــه يصــدع الصــخر ويعـرو القممـا

وألــوف الخلــق لمــا حشــدت قــد اقامــت مــن عويــل مأتمــا

ودمـــوع لعيـــون قـــد حكـــت هاطـل السـحب وقـد هلّـت دمـا

وصـــدور لنـــواك التـــدمت أي صـــدر لـــم يكـــن ملتـــدما

ووصف ايضا في قصائد مختلفة تأبين زملائه الاطباء له:(ديوانه٢٠٥/١)

ولــم انــس نعشــك فــي ســاحة غصـــت بخلــق كثيــر العــدد

وقــام طبيــب علــى نعشــك الــ مسـجى وقـد غـاب عنـه الرشـد

تلعـــثم لمـــا اراد الخطـــاب وجـف لعـاب اللهـى بـل جمـد

وابّنـــك المصـــقع الفيلســـوف وكـــان لهيـــف الحشـــى منكمـــد

فــأبكى الجميــع وشــيل الســرير وصــبّت دمــوع ودمعــي جمــد

DR. M. EL-KHATIB. M. D.
ROYAL HOSPITAL
BAGHDAD

العدد ..... التاريخ .....

صورة الوصفة الطبية للدكتور محمد حسين الخطيب

البطاقة الشخصية

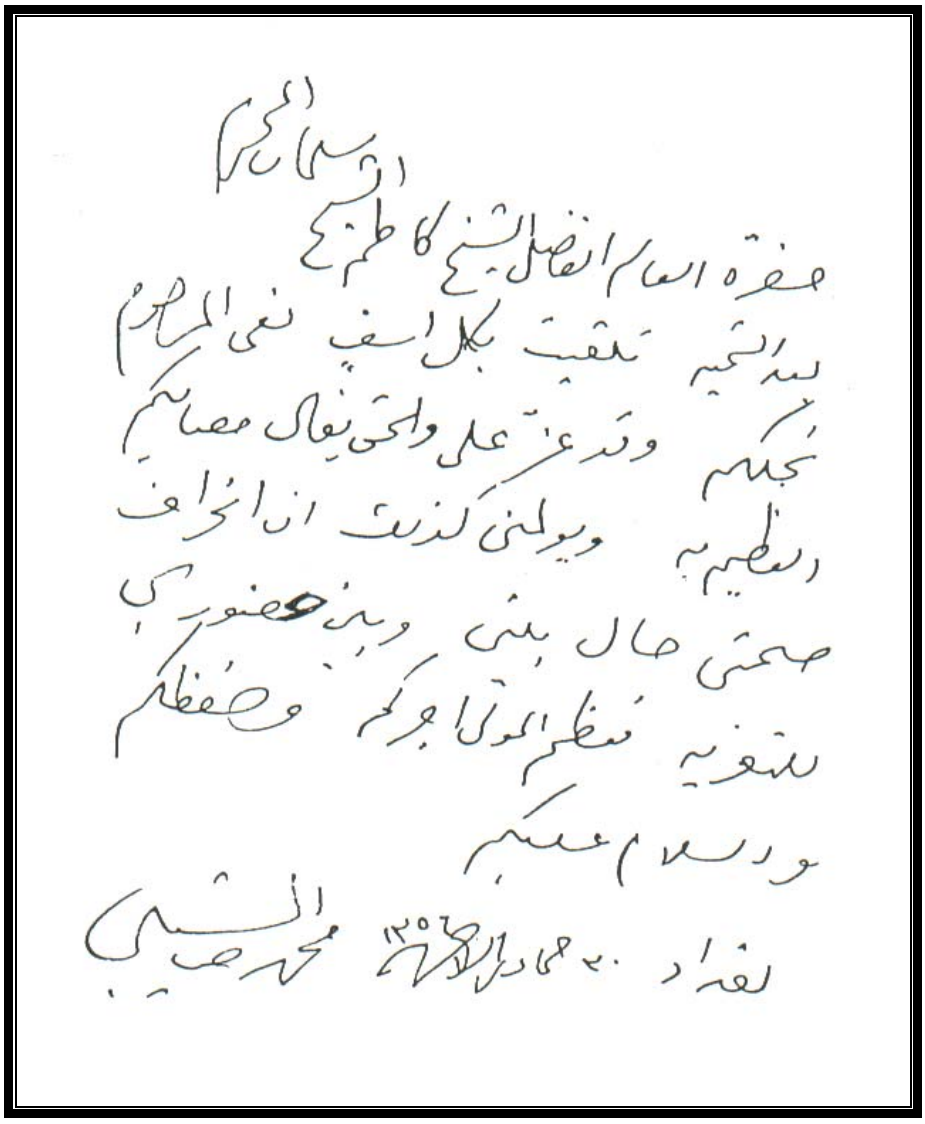

تعزية الشيخ محمد رضا الشبيبي

الدكتور محمد حسين يحمل ولده كمال